دعـــــوة إلى توحيد الجهود في معركة المصير

(هذه دعوة وجهها الأخ عصام العطار في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٨٨هـ - ١٦ آب/أيلـــول ١٩٦٨م إلى الحكـــام والمنظمات والأفراد المخلصين الواعين .. وما تزال هذه الدعوة كما هي بنصها الحرفي ، تصور الواقع العربي الأليم ، وتعبر عن وجهة نظر الطلائع الإسلاميّة وموقفها .. ونحن نعيد توجيهها لأننا أحوج ما نكون إليهـــا الآن في هـــذه الظروف ، ولنضع الجميع تجاه مسؤوليتهم البينة أمام الله ، ثم أمام الأمّة والبلاد والتاريخ) .

حتى هذه الساعة لم تصل البلاد العربية إلى مخطط لمجابهة العد والمكتسح ،ولم تخط الخطوات الضرورية في طريـــق التعاون والتنسيق والإعداد على المستوى المطلوب .. ونحن نواجه خطراً محققاً ، ونخوض معركة يصفها الجميع بأنهـــا معركة مصير .

العدو في أرضنا وفي سمائنا يقذفنا بالموت والدمار ، ويحاربنا على صعيد الدنيا كلها ألوان الحرب ، ونحن مشغولون عنه وعن مواجهته بأنانياتنا وشهواتنا ومصالحنا الصغيرة وحرب بعضنا بعضاً حرباً خفية أو معلنة .. وكم كنا نعجب لأحوال العرب في الأندلس قبل زوالهم ، وقد غفلوا والعدو يقظان

وتفرقـــــوا شـــــيعاً فكـــــل مدينـــــة فيهـــــا أمـــــير المـــــؤمنين ومنـــــبر

واصطرعوا والعدو يهاجمهم ويفتك بهم .. فذهبوا وذهب ما اصطرعوا عليه من الـــسلطان الهزيـــل ، والمطـــامع الحقيرة ، ولم يبق لهم إلاّ هزء التاريخ ، وازدراء الأجيال على توالي العصور ، وما ينتظرهم من حساب في تلك الدار الباقية على الأمانة التي خانوها ، والأمة التي ضيعوها ، والبلاد التي أسلموها .. كم كنا نعجب لهـــم -أو لحكـــامهم على الأصح- حتى رأينا في حاضرنا ما هو أدعى إلى العجب والإنكار ، وما لا يصدق أن مثله يكون .

دولنا تختلف ولا تأتلف ، وتتحارب أو تتهادن على دخن كما يقول المثل ، ولكنها لا تجتمع اجتماعاً مخلـــصاً ، ولا تتعاون تعاوناً حقيقياً مستمراً ، رغم كل ما أصابها -وما يزال يصيبها- في مقدساتها ، وفي أرضها وكرامتـــها ، ورغم الخطر الشامل الماثل ، والقضية الكبيرة المشتركة التي ترتبط بالجميع ، ويفترض أن ترتفع فوق كل خلاف .

وجل حكامنا جعلوا معركتهم مع شعوبهم بالدرجة الأولى لا مع إسرائيل وقـــوى الـــصهيونية والاســـتعمار ، ليحتفظوا بسلطان هزيل لا يشرفهم ، ومزايا شخصية خسيسة على حساب كرامة الشعب ووجوده ، وفي مـــسرح آلامه ومآسيه .. فاستنفذوا الطاقات والإمكانات والجهود الكثيرة في إخضاعه ومراقبته ، وخنق حريتـــه وإرادتـــه ،

وقدموه لقمة سائغة لأعدى عدو .. بدل أن يجعلوا معركتهم مع إسرائيل ، ويحشدوا لها سائر الطاقات والإمكانـــات والكفاءات .

وأكثر منظماتنا ما تزال بعيدة عن الإحساس العميق بمدى الخطر الذي تقابله وتستقبله ، وعن التجاوب الفعال مع حاجات الأمة الأساسية ، ومقتضيات مصلحتها التاريخية الجوهرية في هذه الظروف .. وما تزال تفكر وتعمل كأنـــه ليس هنالك وطن مسلوب ، وحق مغصوب ، وعدو يصابحنا ويماسينا بالعدوان ، ويريد لينتزع منا الأرض والكرامـــة والحياة يوماً بعد يوم .. وما تزال تحوم حول الكسب الشخصي والحزبي على حساب القـــضية ومـــصلحة الـــبلاد الكبرى ، وتصطرع فيما بينها في الوقت الذي تتعرض فيه البلاد التي تصطرع عليها هي نفسها للضياع .

ولقد كانت هذه حالنا نحو عشرين سنة بعد نكبتنا الأولى سنة ١٩٤٨م ، وما برحت هي حالنا الآن أيضاً بعـــد نكبتنا الفادحة سنة ١٩٦٧م ، لم نتعظ ، ولم نتعلم ، ولم نغير ما بأنفسنا حتى يغير الله ما بنا .. والخطـــر يتفـــاقم ، والعدوان يتوالى ، والضربات الغادرة تنـــزل بنا في مواقعنا على خط إطلاق النار ، وفي قرانا ومدننا .. ولـــن يقبـــل مخلص عاقل باستمرار هذه الحال ..

ونحن نعلم أن تغيير واقعنا تغييراً حقيقياً جذرياً ، لنكون أخلص وأوعى ، وأشد ارتباطاً بالواجب ، وقدرة علـــى النهوض به ، يحتاج إلى زمن طويل ، وجهد عظيم ، وتضحية جسيمة من المؤمنين الصادقين المدركين لحقائق الأمـــور .. وأنه لا بد من إعادة بناء الفرد والمجتمع على أساس عقيدي وفكري وخلقي وعلمي متين ، يعطينا الوحدة والقـــوة والقدرة ، ومن تخطيط حياتنا بجوانبها المختلفة تخطيطاً جديداً يؤهلنا لمواجهة التحدي وإحراز النصر .. وأن الإســـلام عندما نعود إليه –وقد جهد الأعداء في إبعادنا عنه– هو وحده الطريق .

نحن نعلم ذلك كله ، ونؤمن به ، ونوالي سعينا إليه .. ولكننا أمام مسؤولية راهنة لا تحتمل الانتظـــار ، وأمـــام مواجهة مفروضة لا تقبل التأجيل ، ولا بد منها إذا أردنا البقاء وامتلاك الفرصة للإعداد الأفضل ، والعمل الجـــذري المنشود على المدى الطويل ، وهي تملي على الجميع لمصلحتهم ووقايتهم ومـــصلحة أمتـــهم وبلادهـــم في الحاضـــر والمستقبل ، أن يرتفعوا في هذه المرحلة التاريخية الحاسمة إلى المستوى الذي تقتضيه السلامة والمصلحة ، وأن يخطوا هذه الخطوات الأساسية الضرورية كحدّ أدنى :

١ – أن تجعل قضية فلسطين القضية الأولى في هذه المرحلة (حقيقة لا كلاماً) ، وأن تحشد لها كل دولة من الدول العربية أكبر ما تستطيع من الإمكانات ، وأن ترتب أوضاعها ترتيباً خاصاً لتكون طاقاتها ومواردها في خدمة القـــضية القائمة محلياً ودوليا .

٢- أن يوحد الجهد العربي في قضية فلسطين سياسياً وعسكرياً واقتصادياً بأسرع ما يكون ضمن مخطط شـــامل مدروس ، ينبثق من متطلبات القضية على كل صعيد ، ويرتفع فوق الخلافات العديدة المتباينـــة الأســـباب ، ويمنـــع المتاجرة بالقضية وجعلها أداة أو مطية لأغراض أخرى ..

ومن أوجب الخطوات في هذا السبيل :

▪ أن تعتبر الجبهات العربية كلها (وبخاصة تلك التي تقابل العدو) جبهة واحدة ، وأن يعتبر المصير العـــربي كلـــه مصيراً واحدا .

▪ أن يكون للمعركة -دفاعاً وهجوماً- مخطط مشترك وقيادة موحدة ، وأن يكون في هذا المخطط دور لكل قطر عربي .

▪ أن تهيأ أسباب الوقاية للأراضي العربية والقرى والمدن ، وأن يعد الشعب للدفاع عن نفسه والإسهام في معركة مصيره على أحسن وجه .

▪ أن تغذى المقاومة الشعبية في الأرض المحتلة ، وتدعم ، وتوفر لها ولعناصرها أسباب الوحدة والنمو السليم ، وأن يكون لها دورها الأساسي في المخطط العربي المشترك ، وأن ينطلق العمل كله متكاملاً متناســـقاً في حـــدود هـــذا المخطط .

٣- أن تعاد صلة الشعب المتينة الواعية بالإسلام العظيم الذي يعتقده المسلم ديناً ، ويعتز بـــه النـــصراني تراثـــاً وحضارة ، ليجد فيه الشعب نفسه وحقيقته وهويته الواضحة وطريقه الأصيل ، ويخلص من الشتات والضياع القاتل الذي دفع إليه ، ومن الانقياد الأعمى إلى هنا أو هناك .. والإسلام -كما يبين لنا تاريخنا كله- هو عماد صـــمودنا ، وباعث مقاومتنا ، ومكون حضارتنا ، وحافز تقدمنا ، وذخيرتنا التي لا تنفد على الأيام .. وهو وحده الذي يستطيع أن يحررنا من اليأس والاستسلام ، ويولد فينا الثقة بالنصر والتصميم على الجهاد ، ويدفعنا إلى الأخذ بما يحقق النـــصر من الأسباب ، ويرتفع بنا إلى ذروة البطولة والتضحية .. وهو الذي يمكن أن يؤهلنا للمواجهة القريبة ، والإعداد على المدى الطويل ، بكل ما يتطلبه ذلك من صفات ووسائل ومنجزات .

الإسلام أعظم قوة لنا في مواجهة عدونا ، ولا يرضى بحرمان الشعب من هذه القوة في معركة المصير التي يخوضها الآن في أصعب الظروف عربي مخلص مهما كان معتقده الشخصي أو موقفه من قبل .. والإسلام هو الذي يستجيش كل طاقاتنا ، ويستخرج أقصى إمكاناتنا حيث يعجز أو يقصر سواه ، وهو الطريق القاصد الذي ينطوي فيـــه كـــل طريق صحيح .

٤- أن يستفاد من مئات الملايين من المسلمين الذين يلتقون معنا بالعقيدة والشعور ، ويرتبطون ارتباطـــاً بـــأولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلّم ، وبالأرض التي باركها الله عزَّ وجلَّ كما ورد في كتابه الكريم ، وأن نشركهم معنا في المعركة ، لتكون معركة العرب والمسلمين جميعا .

٥- أن توحد الجهود العربية على الصعيد الدولي بكل مستوياته ، تخطيطاً وتنفيذاً ، وأن يوطد التعاون مع كـــل دولة تقف معنا ، وأن يسعى لاكتساب كل دولة حرة وإنسان شريف ، وأن يبين حقنا للدنيا بكل وسيلة مناســبة ، وأن تشعر الدول الموالية لإسرائيل بالخطر الحقيقي على مصالحها في بلادنا ، وبالخسارة التي تصيبها بمـــوالاة باطـــل أعدائنا ، وأن يقنع الجميع من خلال مواقفنا بأن صداقتنا تنفع وعداوتنا تضر .

٦- يجب أن ينتهي عزل الشعب عن قضيته وقضية مصيره .. وأن ترد إليه حريته ويعود إليه حقـــه المـــسلوب ، ليستفاد من طاقاته وكفاءاته كلها ، ويكون له دوره في توجيه المعركة وحماية القضية من كل انحراف أو تفـــريط أو خيانة أيضا .

ولا أدري كيف يمكن أن نربح معركتنا المصيرية ضد إسرائيل والصهيونية العالمية ومن وراءها ، والشعب في عدد من بلادنا مهدر الطاقات والكفاءات ، مكبل بالقيود ، وحكامه يخافونه أكثر مما يخافون العدو ، ويوجهون لمراقبتـــه والتنكيل بأحراره والقضاء على مواطن القوة فيه من الجهود ما لا يوجهون جزءاً منه لمجابهة العدو .

إنّ الحاكم المخلص الكفء لا يخاف الشعب ، فالشعب عونه وسنده .. إنما يخاف الشعبَ الحـــاكمُ العـــاجز أو المستغل أو الخائن ..

يجب إذن أن ينتهي عزل الشعب عن قضيته ، وأن ترد إليه حريته ، ويعود إليه حقه وسلطانه .

وحرية الشعب ورقابته وقدرته على التحكم في الأمور هي في ظروفنا الحاضرة أقوى ضـــمانة لـــسلامة القـــضية والمحافظة عليها ودفعها في الطريق القويم .

والشعب عندما يمتلك حريته هو الذي يلزم الحكومات طريق الجهاد والإعداد ، وطريق الوحـــدة في التخطـــيط والعمل ، ويقف بالمرصاد لكل تآمر أو انهزامية وقصور .

إنّ عزل الشعب أكبر خدمة للعدو -أي عدو كان- والذين يعزلون الشعوب ويحكمونها رغم إرادتهـــا بالحديـــد والنار ، وتنظر إليهم شعوبهم نظرها إلى العدو المحتل ، لا يقودون إلاّ إلى الهزيمة والدمار .

أما المنظمات الشعبية المخلصة الواعية التي تصدر عن مصلحة الأمة والوطن ، فما أحراها بأن تتلاقى وتتعاون على الخطوات التي أشرت إليها ، وعلى اكتشاف كل ما يمكن أن تعمله وتسهم به في خدمة القضية على الصعيد المحلـــي والعربي والعالمي .

ونحن على استعداد تام للتعاون مع كل جهة صادقة من أجل ما دعونا إليه ، وما تقتضيه قضيتنا الكـــبرى ممّـــا لم نذكره ، واثقين أعظم الثقة أننا إن أخلصنا جميعاً القصد ، وأحسنّا التعاون والعمل سنؤدي إلى أمتنا وبلادنا وقـــضية الحق الكبرى خدمة تاريخية حاسمة ، وسنحول الجزر إلى مد ، والهزيمة إلى فوز بإذن الله .

إننا نمتلك أرضاً تزيد مساحتها على الأرض المحتلة مئات المرات ، ويزيد عددنا أربعين ضعفاً أو أكثر على عـــدد مغتصبي فلسطين المجرمين ، وعندنا من الثروات والطاقات الشيء الكثير .. ومن ورائنا مئات الملايين من المـــسلمين ، وكل إنسان حر الضمير ، وفي أعماق شعبنا من الإيمان بالله واليوم الآخر والاستعداد للجهاد والاستشهاد مـــا لـــو أيقظناه لصنع المعجزات ، ومعنا الحق والحق لا يغلب إن وجد رجاله المؤمنين به ، المستعدين من أجله لاحتمال كـــل تضحية وبذل كل جهد .. ولكن حكامنا ينظرون إلى المعركة من خلال التجزئة التي صنعها الاستعمار ، ويرى كـــل منهم الأمور من حدود دويلته وقطره ومصلحته في الحكم ، ويقيس الأمور بالمقاييس المحليـــة الـــضيقة والشخـــصية الصغيرة ، فلا يبصر إمكانات النصر العظيمة ومجالاته الواسعة .. لو أننا تجاوزنا التجزئة القاتلة والحدود المصطنعة وهذا الواقع الذليل الذي نرسف فيه إلى موقف وحدوي سوي وتجرد جدير بالخطر المحدق والظرف التـــاريخي الـــدقيق ، ونظرنا إلى المعركة على أنها معركة العرب والمسلمين جميعاً ، وأن قاعدتنا فيها إنما هي أرض العرب كلها على الأقل .. وأيقنا بأن النصر لنا إن آمنا واستقمنا وصبرنا ..

ولعل هذا التحدي المصيري الكبير الذي يواجهنا ، وتصميمنا الصادق القاطع على المواجهة وعدم الاستسلام بحال من الأحوال .. لعل هذا كله يقفز بنا قفزة تاريخية تختصر لنا الزمن والتطور البطيء ، وتصل بنا من خلال المواجهـــة والجهاد الحق والألم والتضحية والصبر إلى الوحدة ، وتنقذنا من التخلـــف ، وتـــدفعنا في طريـــق التقـــدم العلمـــي والتكنولوجي ، وتصلنا كرة أخرى برسالتنا الباقية ، وتردنا بها إلى مكان قيادي في العالم لخير العالم .

هذه دعوة نوجهها بكل حرارة وإخلاص إلى الحكام والمنظمات والأفراد المخلصين الواعين ، ونمد معهـــا يـــدنا للتعاون الصادق ، سائلين الله عزَّ وجلَّ أن يلهم الجميع الرشد ، ويهديهم إلى الحق ، ويسدد خطاهم إلى ما فيه خـــير الأمة والبلاد دنيا وآخرة .